

والمخطوطات الصحيحة الوثيقة. ويذكر ابن المقرب في اللامية أن باتكين بنى جامعها الكبير حين تداعى في عصره إذ اتفق أن امتد إليه حريق أتى عليه، فأعاد عمارته، وجلب إليه من الأهواز وغير الأهواز مواد البناء من الأخشاب والرخام، يقول:

كَمَ مِنْ رُواقٍ زادَ فيه وَحَصْرُهُ زادتْ إلى تَرْفيلِهِ تَرْفِيلاً

فقد زاد في أروقته حين بناه، وتأنق فيما جلب إليه من الحصر. ويذكر أنه بنى للوفود دار ضيافة. وليس ذلك فحسب كل ما نهض به باتكين في البصرة، فقد شيد فيها مارستاناً للمرضى وذوى العاهات، إذ يقول الشاعر في الدالية الثانية وهو يعدد أعماله:

أَمْ لَأَنْ شَيْدَ الْمَرَسْتَانَ لِلزَّمِّ حَتَّى وَحَفِظَ الْعُقُولَ وَالْأَجْسَادِ

ويقول أيضاً في نفس القصيدة إنه أمن السبل وفتك باللصوص، وإنه يقيم الحدود كما تفرضها الشريعة الإسلامية. وليس من شك في أن هذه صورة مثالية لولاية الخليفة الناصر في العصر وما كانوا ينهضون به في ولاياتهم لا من نشر الأمن والعدل فحسب، بل أيضاً من إقامة حدود الشريعة وتطبيقها، وتشديد المارستانات والجوامع والعناية بفرشها وحصرها، وتشديد مدارس الفقه والحديث والتفسير، والعناية بمكتباتها وتزويدها بالكتب النفيسة، وتشديد الربط والمشاهد، وعمارة الأسواق، والعناية بأسوار البلدان. وكل هذه الأعمال التي ساقها ابن المقرب لباتكين وإلى البصرة لا نجد لها أثراً ولا ما يشبه الأثر في كتب التاريخ؛ ولذلك لا نبالغ إذا قلنا إن ديوان ابن المقرب يعد سجلاً شعرياً تاريخياً فريداً، وهو سجل لا يخص فقط دولة العيونيين في القطيف والأحساء والبحرين بل يتسع ليشمل دولة الخليفة الناصر وعماله على البلدان في العراق.

ولعل في كل ما قدمنا ما يدل بوضوح على أن شعر المديح عند أسلافنا في صميمه شعر تاريخي يسند التاريخ حيناً كما قلنا في صدر هذا الحديث، وحيناً يضيف إليه وثائق وحقائق جديدة، بل قد يضيف تاريخ دولة بأكملها، لم يدون منه المؤرخون إلا شذوفاً قليلة.